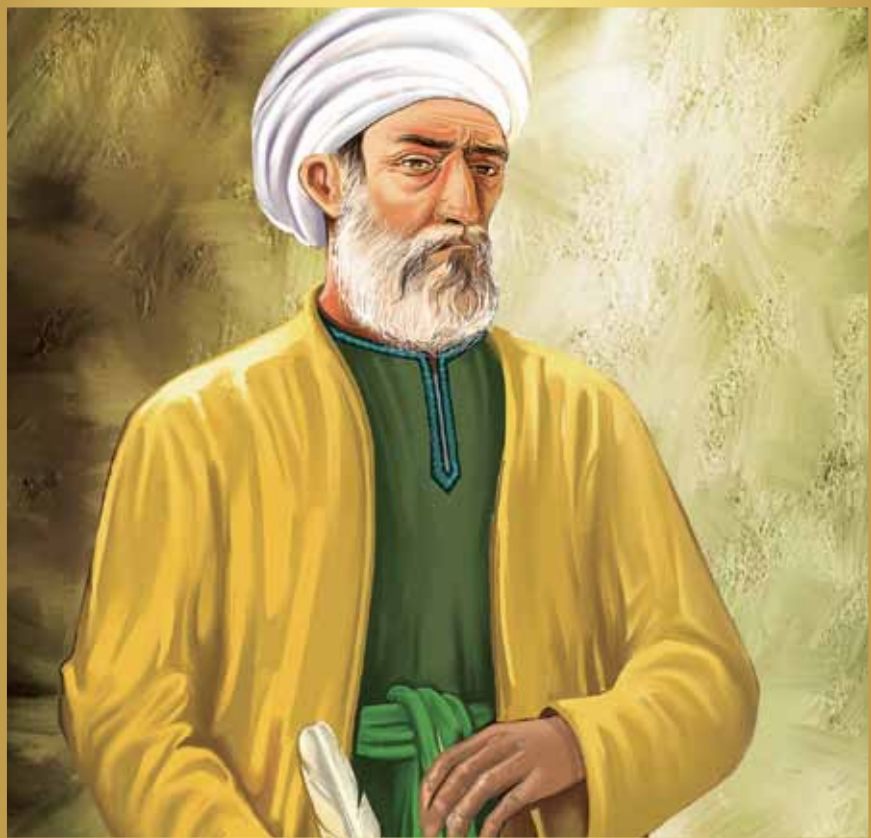


# شخصيات تاريخية — الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديِّ



أنا الخليلُ بنُ أحمدَ بنِ عمَرَ بنِ مَيمِ الفَراهيديِّ الأزدِيِّ، وُلِدْتُ نَحْوَ مِائَةِ لِهْجَرَةٍ فِي عُمَانَ مِنْ قَبِيلَةِ الْأَزْدِ، نَشَأْتُ نَشْأَةً عَرَبِيَّةً وَتَلَقَّيْتُ الْعِلْمَ عَنْ شَيْوَخِ قَبِيلَتِي وَأَخَذْتُ عَنِ الْأَعْرَابِ مِنَ بَوَادِي الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَتِهَامَةَ. نَشَأْتُ عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ فَقُلْتُ فِيهِ:

وَقَدْ يَزِيدُهُمَا طَوْلُ التَّجَارِبِ  
يَرَى وَيَسْمَعُ أَلْوَانَ الْأَعَاجِبِ

الْعِلْمُ يُذَكِّي عُقُولًا حِينَ يَصْحَبُهَا  
وَذُو التَّأْدِبِ فِي الْجُهَالِ مُغْتَرِبٌ

جَذَبَنِي الْبَصْرَةُ مَوْطِنَ الْعِلْمِ وَالْحَضَارَةِ وَالْفَصَاحَةِ، وَهُنَاكَ حَضَرْتُ مَجَالِسَ الدَّرْسِ وَالْعِلْمِ  
فَعَلَّتْ مَنزِلَتِي وَذَاعَ صِيَّتِي فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ، فَقَصَدَنِي الْعُلَمَاءُ وَالْمُتَعَلِّمُونَ لِيَأْخُذُوا عَنِّي.

أَنَا مُخْتَرِعُ عِلْمِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي، وَأَوَّلُ مَنْ ضَبَطَ اللُّغَةَ وَحَصَرَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ. أَكْمَلْتُ الْأُسُسَ الَّتِي وَضَعَهَا  
النُّحَاةُ مِنْذُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، وَعَلَى عِلْمِي اتَّكَأَ سِبَّوِيهِ فِي إِنْشَاءِ كِتَابِهِ.  
رُويَ عَنِّي أَنِّي تَعَلَّقْتُ يَوْمًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يَرْزُقَنِي عِلْمًا لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ الْأَوَّلُونَ، وَلَا يَأْخُذْهُ إِلَّا  
عَنِّي الْآخَرُونَ، وَحِينَ رَجَعْتُ عَمِلْتُ الْعَرُوضَ فَحَصَرْتُ أَقْسَامَهُ فِي خَمْسِ دَوَائِرٍ، وَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا خَمْسَةَ عَشَرَ  
بَحْرًا.

كُنْتُ أَشَعْتُ الرَّأْسَ، شَاغِبَ اللَّوْنِ قَشَفَ الْهَيْبَةِ، مُتَخَرِّقَ الثِّيَابِ، مُتَفَلِّحَ الْقَدَمَيْنِ، فَقِيرًا، زَاهِدًا. أَهْدَى لِي الْوَلَاةُ  
وَالرُّؤْسَاءُ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ لَكِنِّي آتَرْتُ رَدَّهَا جَمِيعًا، فَمَا كَانَ هَمِّي طَيْبَ الْعَيْشِ وَلَا كَانَ يَشْغَلُنِي غَيْرُ التَّفَكِيرِ  
بِالْعِلْمِ، فَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أُخْرَجُ مِنْ بَيْتِي مَشْغُولًا بِأَفْكَارِي فَلَا أَشْعُرُ إِلَّا وَأَنَا فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ عَيْرٍ قَصْدَ لَهَا.  
قَبِلَ إِنِّي أَحْفَظُ نِصْفَ اللُّغَةِ أَوْ ثُلُثَهَا فِي الْأَقْلِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالنَّحْوِ مِنِّي. وَصَفَنِي النَّوَوِيُّ بِأَبِي إِمَامٍ أَهْلِ  
اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ مُطْلَقًا، وَقَالَ الْقِفْطِيُّ إِنِّي: «نَحْوِي، لُغَوِي، عَرُوضِي، اسْتَنْبَطُ مِنَ الْعَرُوضِ وَعَلَيْهِ مَا لَمْ يَسْتَخْرِجْهُ  
أَحَدٌ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى عِلْمِهِ سَابِقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ».

ابْتَدَعْتُ أَنْوَاعًا مِنَ الشَّعْرِ لَيْسَتْ عَلَى أَوْزَانِ الْعَرَبِ، فَاخْتَرَعْتُ بَحْرَ الْمُتَدَارِكِ، وَجَمَعْتُ حُرُوفَ الْمُعْجَمِ فِي بَيْتٍ  
وَاحِدٍ هُوَ:

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كَمِثْلِ الشَّمْسِ إِذْ بَزَغَتْ

يَحْطَى الضَّجِيعُ بِهَا نَجْلَاءَ مِعْطَارٍ

وَضَعْتُ مُؤَلَّفَاتٍ كَثِيرَةً مِنْهَا «كِتَابُ الْعَيْنِ» وَ «كِتَابُ الْعَرُوضِ» وَ «كِتَابُ النَّقْطِ وَالْمَصَاحِفِ» فِي اللُّغَةِ وَالشَّعْرِ  
وَ «كِتَابُ النَّعْمِ» وَ «كِتَابُ الْإِنْقَاعِ» فِي الْمَوْسِيقَى، وَ «كِتَابُ الْمُعْمَى» فِي فَنِّ الْإِلْغَازِ.

وَمَا كَانَ الْعِلْمُ شَاغِلِي، فَقَدْ كُنْتُ مُقْلًا فِي شِعْرِي. كُنْتُ كَالْمِسْنِ أَشْحَدُ وَلَا أَقْطَعُ. فَلَمَّا سُئِلْتُ مَاذَا لَا أَقُولُ كَثِيرًا  
مِنَ الشَّعْرِ أَجَبْتُ بِقَوْلِي: الَّذِي يَجِئُونِي لَا أَرْضَاهُ، وَالَّذِي أَرْضَاهُ لَا يَجِئُنِي. مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جَمَعَ الْلاَحِقُونَ مِنْ  
شِعْرِي ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْ بَيْتٍ، أَكْثَرُهَا فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَذَكَرَ الْمَوْتَ وَغَنَى النَّفْسِ وَالتَّرْغِيبِ فِي الصِّدَاقَةِ،  
وَمُسَامَحَةِ الْمُخْطِئِينَ.

فَإِذَا أَتَاكَ اسْمِي تَذَكَّرْ أَنَّ الْخَلِيلَ كَانَ أَفْرَسَ النَّاسِ بِبَيْتِ شِعْرِ وَأَصْدَقَهُمْ لِسَانًا، أَدْرَكَ الْعَرَبَ، وَمِفْتَاحَ الْعُلُومِ  
وَمُصَرِّفَهَا، سَيِّدَ أَهْلِ الْأَدَبِ قَاطِبَةً فِي عِلْمِهِ وَزُهْدِهِ، وَالْغَايَةَ فِي تَصْحِيحِ الْقِيَاسِ وَاسْتِخْرَاجِ مَسَائِلِ النَّحْوِ. كُنْتُ  
رَجُلًا صَيِّعًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْمِسْكِ.

البحرُ في علمِ العَرُوضِ هو الوزنُ الشَّعْرِيُّ الْمُخْصُوصُ الَّذِي يَنْظِمُ الشَّعْرَاءُ عَلَيْهِ أَشْعَارَهُمْ وَيَرْنُونَهُ بِهِ، وَسُمِّيَ الْبَحْرُ الْعَرُوضِي بِهَذِهِ  
التَّسْمِيَةِ تَشْبِيهًا لَهُ بِالْبَحْرِ فِي سَعْتِهِ، وَعَدَمِ انْتِهَائِهِ.